صور من جهاد الشهداء

عن المخطوطات القبطية الاثرية

(١)

البطريرك

القديس بطرس

خاتم الشهداء

سليكة حبيب يوسف

يوسف حبيب

بسم الآب والابن والروح القدس الاله واحد آمين

حضرة صاحب الغبطة ابينا البطريركى المكرم

الانبا كيرلس السادس

بابا وبطريرك الكرازة المرقسية

ⲟⲩⲉⲍⲕⲱⲙⲓⲟⲛ ⲉⲁⲩⲧⲁⲟⲩⲟⲩ
ⲛ̄ⲧⲉ ⲁⲃⲃⲁ ⲁ̄ⲗⲉⲝⲁⲛⲇⲣⲟⲥ
ⲡⲓⲁⲣⲭⲏⲉ̄ⲡⲓⲥⲕⲟⲡⲟⲥ ⲛ̄ⲧⲉ
ⲣⲁⲕⲟⲧ ⲉ̄ⲡⲓⲁⲍⲓⲟⲥ Ⲡⲉⲧⲣⲟⲥ
ⲡⲓⲡⲁⲣⲑⲉⲛⲟⲥ ⲟⲩⲟⲍ ⲡⲓⲁ̄ⲣ-
ⲭⲏⲉ̄ⲡⲓⲥⲕⲟⲡⲟⲥ ⲛ̄ⲧⲉ ⲧⲁⲓ
ⲡⲟⲗⲓⲥ ⲛ̄ⲟⲩⲱⲧ ⲫⲏ ⲉ̄ⲧⲁⲫⲉⲣ-
ⲙⲁⲣⲧⲩⲣⲟⲥ ⲉ̄ⲍⲣⲏⲓ ⲉ̄ⲃⲏⲛ
ϕⲣⲁⲛ ⲙ̄ⲡⲉⲛⲟ̄ⲥ ⲓ̄ⲏ̄ⲥ̄ ⲡ̄ⲭ̄ⲥ̄.

مترجم عن المخطوطات القبطية بمكتبة الفاتيكان ومتحف بورجيامن

LES ACTES DES MARTYRS DE L'EGYPTE
tirés de manuscripts coptes de la bibliothèque vaticane et du Musée Borgia

HENRI HYVERNAT
Professeur d'assyriologie et d'Egyptologie
Paris, Rome, 1886

مقدمة

من أثمن ما وصل الينا مقال القديس البطريرك الكسندروس رئيس اساقفة الاسكندرية (تنيح سنة ٣٢٨م) فى الاحتفال بذكرى خاتم الشهداء القديس العظيم الانبـــا بطرس الأول البطريرك السابع عشر (ارتقى العرش المرقسى عام ٣٠٢ م تنيح سنة ٣١١ م.)

ويعتبر هذا المقال انفس ما تناول سيرة خاتم الشهداء ، وقد دون باللغة القبطية وظل محفوظاً ردحاً طويلا من الزمان ولما ظهر العلامة الاثرى المؤرخ البحاثه هـ. هيفـــرنا H. Hyvernat professeur d'assyriologie et d'égyptologie نشر بعض المخطوطات القبطيـة سنة ١٨٨٦ م. فى كتابه Les Actes des Martyrs de l'Egypte الذى يعـــد بحق كنزاً اثرياً نفيساً بالغ الاهمية . وقد رجعنا فى ترجمتنا لهذه

السيرة النفيسة للعربية ، الى النص الفرنسى الوارد فى الكتاب المشار اليه ، وقد ترجم عن المخطوط الاصلى باللغة القبطية إلى اللغة الفرنسية ، ويحوى صوراً بارعة عن جهاد الشهداء .

وذكر فى المخطوط باللغة القبطية التى ترجمت عنها السيرة ان البطريرك ناوئنا توسم فى القديس غزارة العلم وطهارة القلب فأحبه . وجاء بها ان البطريرك احتفظ به طرفه كابن محبوب ، وارسله الى المدرســـة اللاهوتية بالاسكندرية ، ونال قسطاً كبيراً من العلوم والمعارف ، ثم رسمه قارئاً فى مكان قريب يتميز بالهدوء لتلاوة العهدين القديم والجديد ، وقد حفظ اغلب نصوصهما عن ظهر قلب . وكان قد درس بنعمة الله فصول الكتاب المقدس فى ست سنوات ، وما برح يتلوها تلاوة روحانية بطريقة تجعل كل الناس يأتون الى الكنيسة مبكرين بسبب تأثير تلاوته .

وفضلا عن تضلع القديس فى العلوم الكنسية ومؤلفاته النفيسة العديدة ، كان وضاء فى طهارة قلبه . وروى عنه انه

بعد ان صار بطريركاً كان يدخل الكاتدرائية المرقسية بالاسكندرية فيرى السيد المسيح جالساً على العرش .

وقد احتمل اتعاباً وضيقات كثيرة وكان يجول متنقلا من مدينة الى أخرى لتثبيت حقائق الايمان واخام المدعين .

وله عظـــات بليغة نشرنا بعضها عن المخطوطه ٩٨ (ص ١٧٧ — ١٧٩) التى عثر عليها بمكتبة الفاتيكان برومه سنة ١١٠١ ش (١٣٨٥ م) ونشرتها مجـــلة Le Muséon عام ١٩٢٢ وترجمناها للغة العربية ، ويمكن الرجوع اليها فى كتابنا عن الانبا شنوده . وله صـــلوات قوية يستشف منها عن اشراق شخصيته وتألق انواره فى كنيسته وشعبه .

واجرى الله على يديه مواهب شفاء الامراض واخراج الشياطين . وقد طلب الى السيد المسيح ان يكون خاتم الشهداء واجاب السيد سؤل قلبه . وتقدم الى الاستشهاد ببسالة منقطعة النظير ولم يخش ضراوة دقلديانوس الكافر بل كان جل ما يخشاه ارتداد بعض المؤمنين عن الايمان بسبب الاضطهادات .

ومن حسن الحظ فقد احتفظت السيرة بنماذج من صلواته ، وصورت ظروف استشهاده تصويراً حياً بارعاً يأخذ بمجامع القلوب مع ما يتخلله من العبارات المقدسة القوية التأثير البالغة فى الروعة الجلية فى التعبير ، فكان القديس قوى البيان راسخ الايمان مشرقاً بهياً حتى تقاطر الناس يلتمسون قطعة من ثوبه . وبالجملة كان مهيب الجناب رائعاً فى كل شىء حتى لكانت اقواله تفرض على قائليه أنفسهم التنفيذ والاحترام .

وتعيد له الكنيسة فى اليوم التاسع والعشرين من هاتور بتذكار نياحته . صلاته تكون معنا ولربنا المجد دائماً آمين .

استهـــلال

جاء فى المخطـــوطه ما يلى : مقال يمتدح فيه الانبا الكسندروس(١) رئيس اساقفة الاسكندرية ، القديس بطرس البتول رئيس اساقفة الاسكندرية ، الذى استشهد على اسم ربنا يسوع المسيح . القى المقال فى قاعة القديس غرب المدينة فى الاحتفال بذكراه فى اليوم التاسع والعشرين من هاتور . بسلام الله . آمين .

١ — مناجاة رئيس الأساقفة صاحب المقال لروح البطريرك القديس بطرس الأول

فى احتفال الانبا الكسندروس رئيس اساقفة الاسكندرية بذكراه قال : بينما تشرق علينا ذكراك المجيدة اليوم يا ابانا القديس البتول رئيس الأساقفة شهيد المسيح القديس الانبا

١) البطريرك التاسع عشر ، تولى العرش المرقسى من سنة ٣١٢ الى سنة ٣٢٨ .

بطرس ، فان اشعتها الباهرة تنير روحى وتشجعها على النطق بعدائحك . انى اعرف جيداً مسكنة روحى ، وضعف لسانى ؛ لذلك ، اذ اتقدم نحو محيط امجادك الذى ليس له شاطىء ، اخشى الا استطيع ان اذكرها كما تستحق . لكنى اعرف ايضاً ايها القديس انك سوف تقبل ما نقول حسب قوتنا ، نظراً لاننا سوف نضع كل حسن نيتنا فى القليل الذى سوف نقوله طبقاً لافتقار مسكنتنا ؛ وربنا يسوع المسيح قبل بعطف فلس الارملة الفقيرة ، لان هذا كان كل مالها . فلست مؤجلا قول ما نستطيع فهمه ، أو بالحرى ما تمنحه لنا النعمة لنفهمه .

ايها المجيد المولود بعد نذر مثل يوحنا المعمدان ، يا من كنت هدية من الله مثل النبى صموئيل ، صرت مثله مكرماً منذ طفولتك بنعمة النبوة والاعلانات العجيبـــة ؛ دعيت الى الكهنوت العالى مثل هارون الكاهن ، أو بالحرى ارتفعت اعلى من هارون ، لان ذاك كان كاهنا فى الرمز ، اما انت فكنت كاهناً بالحقيقة .

يا من اكرمك الله بنعمة الأشفية ، مثل بطرس ، الرسول سميك ، وبالحقيقة أخذت سلطان الحل والربط في السموات ؛ يا من بشرت مثل بولس الرسول ، مثبتاً انت ايضاً ، برسائلك الجامعة ، قلب المؤمنين وعيتك ؛ يا من اغلقت فم الهراطقة مثل يوحنا اللاهوتي ؛ قتلوك بالسيف من اجل المسيح ، مثل يعقوب الرسول القديس . وبتسليمك نفسك للموت من اجل المسيح ، قد سلكت كما فعل الرب حينما تقدم نحو جلادي اليهود ، بارادته ، قائلا انا هو الذي تطلبونه ، باذلا نفسه من اجل خرافه . لقد اقتديت به في كل شيء ، مسلماً نفسك للسيف من اجل قطيعك ، لأجل المسيح .

لنتضرع إذاً ، يا ابنائي المؤمنين ، ولنبحث بالتفصيل ما قلناه حتى الآن ، طبقاً لما سمعنا ورأينا .

٢ــ ميلاد القديس بطرس خاتم الشهداء

ولد القديس الانبا بطرس الذي نحتفل به اليـــوم ، مثل يوحنا المعمدان ، من أب قديس يدعى تيودوز أول القسوس

protopresbyter . اما والدته فكانت من سلالة شهيرة وكان اسمها صوفيا . كانا كلاهما بارين يسلكان بثبات في كل وصايا الرب . لم يكن لهما اولاد ، لانها كانت عاقراً ؛ وكانا كلاهما متقدمين في السن . فصح القول انهما كانا مثل زكريا واليصابات خادمي الله المخلصين . وفي ذات يوم اذ كانا يصليان في كنيسة القديسين بطرس وبولس في يوم ذكراهما في الخامس من شهر ابيب ، وقفت هذه الطوباوية امام المقصورة وصلت هكذا قائلة :

« يا الله القادر على كل شيء ، الذي يتمجد بالاخص بمنحنا ما نطلبه ، يا من سمعت امتك حنه واعطيتها النبي صموئيل الذي قدمته لهيكلك المقدس ، استجب لي انا ايضاً واعطني ثمراً ، ليكون خادمك الى الأبد » .

وبعد ما قالت هذا تقدمت واشتركت في الاسرار المقدسة وهي مملوءة من خوف الله . وفي الليلة التالية رأت حلماً وقد رونه لزوجها ، قالت :

« رأيت رجلين واقفين امامي ، لابسين ملابس باهرة ، مثل ابينا البطريرك ، فخفت خوفاً عظيما حينما رأيتهما . وقالا لي: لا تخافي ، نحن اللذان في مقصورتهما صليت بالامس ، بطرس وبولس . لقد حملنا صلاتك الى حضرته تعالى ، فاستجابها وتحنن عليك ايتها المرأة المخلصة . غداً اذا قومي مبكرة جداً ، واذهبي الى رئيس الاساقفة ليصلي لأجلك ، وما تطلبيه فسوف يمنح لك بدون تأخير . قد قلت لقداستك ما رأيته واذا سرك الامر فسوف اذهب الى رئيس الاساقفة ، واني اعتقد انه اذا صلى من اجل فسوف يستجيب لي الله » . فقال لها الكاهن « القديس : ليكن الرب معك » .

فقامت مبكرة جداً وذهبت الى باب البطريرك واوفدت شماساً قائلة : « قل لأبي رئيس الأساقفة اني اريد ان اقبل قدميه المقدستين » . فلما أبلغ الشماس الكلام ، امر رئيس الاساقفة بادخالها . فقبلت قدميه . قال لها رئيس الاساقفة : « ماذا بك يا ابنتي ؟ ومن اين انت ؟ »

قالت : « انا زوجة خادمك تيوذوسيوس الكاهن ، وانا غير مستحقة لذلك . لقد حرمني الله ثمرة بطن بسبب خطاياي . ولذلك فاني ارجو قداستك ان تصلي من اجل خادمتك ، واني اؤمن ان الله سوف يعطيني ثمرة مقبولة حسب جوده تعالى » .

حينئذ رد البطريرك وقال : « ليكن لك كما آمنت وليستجيب الرب يسوع طلبتك مثل طلبة حنه والدة صموئيل النبي . » ثم باركها وانصرف بسلام .

وبعد ذلك بقليل حبلت وولدت ابناً . فأنبأوا البطريرك بذلك ، فقال : « دعوه باسم بطرس الرسول ، لاني اعتقد انه سوف يكون عموداً قوياً من اعمدة الايمان الارثوذكسي يدافع عن كل المسيحيين » .

٣ – حياته الأولى ورسامته قارئاً

فلما اصبح عمره سبع سنوات اخذه والداه وقدماه هدية للكنيسة ، مثل صموئيل النبي الذي اقتاده ابواه الى الهيكل عند

اقدام عالى الكاهن وقالا للبطريرك : « انه ابن صلواتك ، فليكن خادم الله الى الأبد » .

فرد البطريرك : « ليباركنا الرب يسوع المسيح ، وليرفع قرن تمرتنا . . . »

وحفظه البطريرك طرفه كابن محبوب . وارسله الى المدرسة اللاهوتية بالاسكندرية . . . . . ثم رسمه قارئاً وجعله بالقرب منه فى مكان هادىء لكى يتعلم ايضاً تلاوة العهد القديم والعهد الجديد عن ظهر قلب ، وبنعمة الله تعلمها فى ست سنوات . فقد كان ممتلئاً من روح الله القدوس ، يتلو فصول الكتاب المقدس باسلوب جعل كل الناس يأتون مبكرين الى الكنيسة بسبب تأثير تلاوته .

٤ــ اخراجه الارواح الشريرة

وذات يوم حضرت الى الكنيسة امرأة بها روح نجس ، فصرخ الروح فيها : « لن اخرج الا اذا صلى بطرس القارىء »

فناداه رئيس الاساقفة وقال : « يا بطرس اذهب واشف هذه المرأة » .

ولكنه بكى قائلا : « اغفر لى يا أبى القديس ، فانى لم اصل الى درجة الكمال هذه ، ان هذا الشيطان يستهزىء بى » .

فقال له رئيس الاساقفة : « اسمعنى يا ابنى ، ولا تكن عاصياً » .

وحينئذ اخذ القديس بطرس ماء بتواضع قلب وبطريقة من يؤدى عمل الطاعة ، وجعل البطريرك يرشمه بالصليب المقدس ، وتقدم وألقاه على المرأة قائلا : « باسم ربنا يسوع المسيح ، ابن الله الحى ، الذى صلب لاجل خلاص العالم كله ، وبصلوات ابى القديس ، اخرج من هذه المرأة ولا تعد اليها ابداً » .

ففى الحال خرج منها الشيطان امام اعين كل الناس ، فى لهيب نار . ومجد الناظرون الله قائلين : « حقاً ان يد الرب معه »

٥ــ إفحام اصحاب بدعة سابليوس

وفي هذه الايام قام حاسد مفسد يدعى سابليوس(١) ، فكان يقول باقنوم واحد فقط . كان يقول بفمه الذي يستحق ان يكون مسدوداً انه ليس هناك الا اقنوم واحد . ولهذا السبب امر في كفره الا يقولوا بعد : « والروح القدس » . واضل كثيرين في تلك المدينة . وجاء اتباعه بكبرياء عظيمة عند باب الكنيسة ، يريدون ان يتناقشوا ، فأرسل البطريرك اليهم بطرس لكي يدحض اقوالهم . فلما خرج اليهم استهزأ به المرجفون قائلين : « انظروا كيف يصنع معنا هذا البطريرك . ليس فقط لا يخرج الينا لكي يكلمنا ، لكنه يرسل لنا اصغر واحقر موظفيه » .

فقال القديس بطرس بصوت النبوة : « اذا كان عندكم ما تقولونه ، فقولوه ، والا ، فاسكتوا ولا تجدفوا » .

---

١) سابليوس احد اساقفة بطولمايس بالخمس المدن الغربية قرب في روسية وتتلمذ لتوئيوس المرطقي واخذ عنه تعاليمه .

وفي الحال سكتوا جميعاً ، كأن صاعقة اصابتهم ، وولوا الأدبار واصبح منظرهم بشعاً لكل من رآهم . فلما رأت جموع المؤمنين ما حدث ، طردوهم من المدينة قائلين : « ارفضوا هؤلاء الأنجاس من وسطنا ، واطردوا هؤلاء الذئاب بعيداً عنا » . وبعد ذلك ارسل البطريرك اعلاناً الى كل بلاد مصر كالآتي : ــ

« من قال بأن الآب والابن والروح القدس كما لو كان الثالوث الاقدس اقنوماً واحداً فليكن اناثيماً مرفوضاً . اما نحن فنقول ان الآب والابن والروح القدس ثلاثة اقانيم لكن اله واحد ، جوهر واحد ، رب واحد ، وبكلمة واحدة ، ثالوث في واحد » .

٦ــ تدرجه إلى الرئاسة

وكانت نعمة الله تستقر في القديس بطرس . لذلك دعاه للدرجات الكهنوتية المختلفة حتى الكهنوت ، وأخيراً وصل الى

درجة رؤساء الاساقفة الذين تعاقبوا لغاية القديس تاؤنا(١) ، وهو الذى خلفه فى رئاسة الكهنوت .

ما أروع نعم الأشفية العديدة التى منحها الله له بسبب طهارة جسده وروحه ونفسه . واستحق عدة مرات ان يرى ابن الله الحى ، على المذبح ، يتناول بيد رئيس الاساقفة المؤمنين المستحقين .

وتقدم ذات يوم رجل لكى يشترك فى الأسرار المقدسة التى لربنا يسوع المسيح(٢) . وفيما كان رئيس الاساقفة يمد يده لكى يناوله ، رأى القديس بطرس ابن الله يمسك يد الانبا تاؤنا لكى يمنعه من مناولته ، وسمعه أيضاً يتكلم

١) أو تيوناس .

٢) ان فى هذه الرؤية التى اختص بها القديس بطرس لأقوى درس عملى عن رهبة سر التناول العائقة للانتباه الى التقدم اليه بالخوف والاستعداد اللائقين بعد ان يتطهر المؤمن اولا من خطاياه وآثامه .

قائلا : « يارئيس الأساقفة ، لا تناوله ، لانه لا يستحق ان يأخذ جسدى المقدس » .

حينئذ قال رئيس الأساقفة للرجل : « يا بنى انك لاتستطيع ان تتناول من هذه الأسرار الرهيبة ، ان لم تتطهر أولا من الخطية الفلانية والخطيئة الفلانية . ثم قال موجهاً الكلام للجميع :

« فى كل مرة إذاً يمنحكم الله الصالح التوبة ، فى محبته للبشر ، طهروا انفسكم قبل ان تتقدموا ، خشية ان تأخذوا عقاباً عظيماً بدلا من المغفرة » . ولم يشهد أحد غير رئيس الاساقفة والقديس بطرس ، هذا الظهور العجيب .

ثم مرض رئيس الاساقفة الانبا تيوناس . ولما كان على وشك ان يستريح ككل انسان ، اجتمع اليه الاكليروس وكل شعب المدينة تقريباً ، وهم يبكون قائلين : اين تذهب ، يا ابانا ، وتتركنا فى زمن الاضطراب هذا ؟ لمن تسلمنا ؟ »

رؤيا الانبا تيوناس البطريرك :

قال لهم : « تقوا يا اولادى ان الله قد اختار من يحكم حسناً . إن ما أقوله لكم يفوق العقل ، ولكنى لا استطيع ان اخفيه .

انه فى هذه الليلة ، بينما كنت ساهراً ، انظر بعض المزامير ، وانا مستلق بسبب مرضى ، حتى اكملت الخدمة الصغيرة على قدر ما سمحت لى قوتى ، اضطجعت مستلقيا على سريرى وكنت اصلى الى الرب ان يعطى راعيا لقطيعه . فى الحال ظهر لى الملك رب المجد وقال لى :

« ايها البستانى الصالح للحديقة الروحانية ، سلم البستان الى بطرس الكاهن ، لكى يرويه وتعال لتستريح مع آبائك » .

اغفروا لى يا ابنائى الأحباء ، انى كنت غير متحفظ ، ولكنى لا استطيع ان اخبىء عنكم حق الله الذى فى قلبى ، انتم شعبه العظيم . لم امسك شفتى ، وقد انبأتكم بحقيقة الأمر » .

فصرخ جميعهم بصوت واحد قائلين : « مستحق مستحق مستحق ؛ انه بالحقيقة مستحق ان يأخذ رئاسة الكهنوت » .

حينئذ قال رئيس الأساقفة لبطرس : « تشجع وثق يا ابنى وازرع بستان الرب جيداً » . اما هو فسجد ووجهه الى الارض وبكى قائلا : « انى غير مستحق وليست لى القوة لهذا العمل العظيم » .

فقال رئيس الأساقفة : « انه الرب الذى يأمرك ، فلا تقاومه . ان الذى انتخبك يعطيك القوة » . وبعد ان قال هذا الانبا تيوناس : « السلام مع جميعكم » . ثم رفع عينيه نحو السماء وصلى هكذا : « ها هوذا ملك المجد وملائكته القديسين » . وهكذا ذهب الى الذى احبه ، ربنا يسوع المسيح ، فى اليوم الثانى من شهر طوبه ، بسلام الله امين .

٧ــ ارتقاء القديس بطرس العرش الرسولى

وبعد هذه الاحداث ، رسم القديس بطرس الذى انتخبه الله القادر على كل شىء ، على عرش رئاســـة الكهنوت . فلما امسك بدفة السفينة الروحانية ، جعل ركابها متساوين فى غنى الله الجواد ، وسار بهم نحو الموانى الحسنة ، اعنى الاناجيل المقدسة ، وكان يجعلهم يحكمون انفسهم فى وصاياها المقدسة . وبفضله اصبح الفقراء متساوين مع الاغنياء بسبب عطايا الآخرين ، ولم يكن الاغنياء يختلفون فى شىء عن الفقراء ، فى كل الامور الحسنة التى ترضى الرب كما هو مكتوب .

٨ــ من معجزات البطريرك القديس

والآن يجب ان نروى لكم هذه المعجزة الاخرى العجيبة التى حدثت على يديه لمجد الله . كان فى المدينة رجل يداه منقبضتان حتى انه لم يستطع ابداً ان يمدهما . وفيما كانوا يصلون ، حضر الى الكنيسة ، وإذ كان يرغب فى التناول من الاسرار

المقدسة من يد رئيس الأساقفة ، مد فمه لكى يأخذها . قال له رئيس الأساقفة : « مد يديك » . فى الحال عادت المرونة الى يديه ، فمدها وهكذا ، تناول من الاسرار المقدسة ، ومجد الله . وكل الشعب الذين رأوا تعجبوا ومجدوا الله .

٩ــ اضطهاد دقلديانوس وموقفه منه

كانوا لا يزالون فى سلام ، وكانت للمسيحيين الحرية فى ممارسة عباداتهم . فلم يستطع الشيطان ان يتحمل ذلك ، اثار اضطهاداً مخيفاً ضـــد المسيحيين ، بواسطة الملك الكافر ، دقلديانوس . وسفك دماً كثيراً فى افريقيـــا وموريتانيا وآسيا من اجل اسم المسيح . وذهب القديس بطرس إلى إحدى بلاد العجم معى ومع ابى اشيلاس Achillas لنبق فيها . فأرسل الحاكم فى طلبنا .

مواجهة القديس للحاكم :

وسأل رئيس الاساقفة : « ما مهنتك ولم جئت الى هنا ؟ »

فقال له القديس بطرس : « انا قائد اذهب من بلد الى بلد لاجند جنوداً للمسيح ملكي » .

فقال له الحاكم : « اين هي المؤن التي توزعها عليهم ؟ اين اسلحة جيشك واين ملكك ؟ » .

أجاب رئيس الاساقفة الطوباوي : « ان اسلحة جيشنا هي الختم المقدس وعماد التجديد . اما المؤن التي يعطيها المسيح لجنوده فهي ظهور الروح القدس فيهم ، حسبما يفيد الناس ؛ فللواحد يعطى كلمة حكمة ، وللآخر كلمة معرفة ، وللآخر ايضاً مواهب شفاء . وحينما يكملون جهادهم ، يعطيهم الخيرات السمائية ، وهو أيضاً ملكي ، هو الذي يسكن في السماء » .

قال الحاكم واهل المدينة . « بما انك قلت ان ملكك يعطي مواهب شفاء ، فاننا نأتي اليك برجل اعمى . فاذا فتحت عينيه ، نؤمن جميعنا بالمسيح » . فاحضروا الاعمى . حينئذ لمس القديس بطرس عينيه قائلا : « باسم ربي يسوع المسيح ابن الله الحي ابصر » . فانفتحت عيناه .

وذوى المكان بالهتافات والاصوات التي ارتفعت . فقد كان الجميع يصرخون : « اله المسيحيين هو المسيح الاله الوحيد . اعطنا ختم المسيح ؛ جندنا جنوداً حقيقيين لهذا الملك الحقيقي يسوع المسيح ربنا » . وقضى بقية النهار كله يعلمهم باسم الآب والابن والروح القدس . وكان هناك الوف من الناس .

١٠ — بدعة ميلتس

وإذ كنا لا نزال في هذه المدينة ، اثار الشيطان اضطراباً آخر ضد الكنيسة . كان هناك اسقف اسمه ميلتس(١)،

---

١) تعدى على حقوق رئيسه البطريرك وتقدم لرسامة اساقفة بلا رأي رئيسه واحدث شقاقاً وانقساماً كبيراً في الكنيسة . وفصل المجمع نيقيه في امر هذا الاسقف . وجاء في مقدمة رسالة المجمع :

« ان ميلتس لا يستحق إكراماً أو صفحاً على ما اقترفه من امر الشقاق الذي احدثه ، الا ان الشفقة والحنان يحتمان علينا ان نعامله بالرأفة واللطف ولذلك اذن له المجمع بالاقامة في بلدته مسقط رأسه وأمره ان لا يمارس اية وظيفه كهنوتية سواء كانت رسامة أحد أو ترشيح أحد للرسامة . . . . ولا ان يدعي شيئاً حرمه عليه المجمع بل تبقى له صفة الشخصية فقط . . . .

يطمع فى الاستيلاء على رئاسة الكهنوت . وإذ رأى فى غياب الأنبا بطرس فرصة مناسبة ، حضر الى الاسكندرية وجلس على الكرسى . هكذا كانت جسارته حتى صنع هذا الشر . ولكن الله انذره : « ان يكون لك اى نصيب ، ولا اى ميراث فى ذلك . وانى واضع ضابطاً لفمك ، وحلقة فى انفك ، ولسوف ارجعك من هذا الطريق الذى اردت ان تسلكه . واكثر من ذلك ، فانى ايضاً سوف ارفع عنك ما عندك » .

وقد حدث ذلك . لانه حينما ساد بعض الهدوء ، عاد القديس بطرس إلى الاسكندرية وطرد ميليتس ؛ فهرب البائس واقترف اشياء ضد قوانين الكنيسة ؛ ولم يلبث ان اخذ عقاب شره ، تعلمون .

١١ — بدعة أريوس

وهذا الآخر ايضاً ، اريوس ، وهو كاهن ضمن اكليروس هذه المدينة ، هذا الرجل الذى يحزننا الآن . تعرفون كيف

حارب الله علانية ، بعد ان سقط فى الضلال ، قائلا بفمه الذى يستحق ان يكون مغلقاً ، ان ابن الله مخلوق .

انى وان كنت لم اقل لكم بعد ، فانكم فضلتم بالعلم كيف حرمه ابونا القديس بطرس . وفضلا عن ذلك ، فان ابن الله الحى ظهر للقديس بطرس وقال له :

« من اولادك الذين يخلفونك ، (اى اشيلاس وانا غير المستحق) ، مرهم — قال ربنا يسوع المسيح — الا يقبلوه فى الكنيسة ؛ لانه غريب عنى فى هذا الدهر وفى الدهر الآتى » .

هذه الكلمات نقلها ابونا القديس حينما كان ينتظر داخل السجن الشهادة المقدسة ، بعد ان اكمل سعيه حافظاً الايمان الارثوذكسى . لان الله الجواد اراد ان يضيف اكليلا ثالثاً لاكليل الحياة الملائكية ورئاسة الاساقفة ، وهو اكليل الشهادة ؛ فقد حسب مستحقاً فعلا لهذا الاكليل ايضاً ، كما تعلمون .

اما عن سبب استشهاده ، وعن التوصيات التي أوصانا بها بخصوص اديوس ، وعن تسليم نفسه للموت من أجل المسيح ، فانكم تعلمون كل هذه الامور ، وهي مكتوبة في كتاب استشهاده .

قال البابا الكسندروس : لقد عرضنا عليكم هذه الامور القليلة حسب درجة ضعفنا ، تاركين الكثير من التفاصيل جانباً حتى لا يطول الحديث . اخذنا بعضها عن السلف ، والبعض الآخر رأيناه بعيوننا . ولم احاول ان ازيد مجد هذا القديس ، بل حاولت ان اجلب المنفعة لنا نحن المتكلمين والسامعين ، لانه بالنسبة له ، قد نال الاكاليل السماوية التي لا ينطق بها . ليتنا بصلواته المقدسة نستحق نفس هذه الاكاليل بتكميلنا الحياة في البر لمجد الآب والابن والروح القدس المحيي الآن وكل اوان وإلى دهر الداهرين آمين .

(يا رب ارحم عبدك الشماس جرائيل قرمان آمين)

١٢ — شهادة القديس بطرس

في السنة الخامسة عشرة من عهد دقلديانوس ، الملك الكافر ، أثار اضطهاداً كبيراً ضدنا نحن المسيحيين . فعين حكاما وولاة في كل ايبارشية وفي كل مقاطعة من مصر ، من الصعيد العالي حتى ليبيا ، لكي يهدموا الكنائس ويحرقوا الكتب المقدسة ويقتلوا كل المسيحيين الذين يجدونهم . وما أكثر الذين استشهدوا من أجل ربنا يسوع المسيح ، في كل مدن افريقيا وموريتانيا ومصر والصعيد والفيوم وفلسطين وفينيقيه ! بكلمة واحدة . . . يحرقون الكتب ، ويقدمون المسيحيين للحيوانات المفترسة ، طعاماً للدببة والضباع .

ولكن الله يمجد خدامه . حينما كانوا يقدمونهم للحيوانات المفترسة ، كانت تجري نحوهم كأنها تريد أن تفترسهم ، ولكنها حينما تشم رائحتهم ، كانت تلحس جراحاتهم بدلا من أن تفترسهم . وامتد الاضطهاد إلى كل مكان لمدة طويلة . وفي السنة

الثامنة عشرة من عهد دقلديانوس كانوا يقتلوننا ؛ ولقد شهد الشهداء القديسون ان ربنا يسوع المسيح ملك وانه جالس عن يمين ابيه الصالح فى السموات . وقد ملأت شهرة عجائبهم العالم اجمع حتى كانت اجسادهم المطروحة بلا حياة تقيم الموتى وتشفى المرضى .

فى هذه الاثناء ، قبض الولاة الذين عينهم الملك الكافر على الانبا بطرس بطريرك الاسكندرية العظيم (١) . . . . . وألقوه فى السجن ؛ (ارسلوا . . . . . بخصوصه . . . . . ان يأتوا به لكى . . . . .) محتقراً الاصنام وهياكلها والذين يخدمونها . وقد أخذ أعداء الايمان المقال وسلموه ليد دقلديانوس فلما علم بما يحتويه المقال ، صار استانه ضد القديس بطرس واراد ان يقتله . ولذلك حينما اعلمه الولاة انهم قبضوا عليه ، فرح جداً ، وارسل امرا بان يقطعوا رأسه . ووصل الخطاب بدون تأخير وأسرع الولاة فى تنفيذ الأمر .

١) بالنص القبطى وكذا الفرنسى هذه النقط . ونشير إلى انه توجد بعض الكلمات ناقصة فى المخطوط الأصلى .

ولما ارادوا ان يخرجوه من السجن لكى ينفذوا امر الملك ، تجمع الشعب عند ابواب السجن لكى يحرسوا راعيهم ؛ وكانوا يقولون « ليذبحونا اولا ثم يأخذونه » . فتشاور الولاة بخصوص الطريقة التى بها يخرجونه دون ان يغضبوا الشعب ؛ لانه كان هناك اناس كثيرون ، شيوخ واطفال وعذارى ورهبان ، الكل يبكون بمرارة . فقرر الولاة ان يذهبوا فيأتوا به ويقتلوا بالسيف من يقاومهم من افراد الشعب .

١٣ — حرمان أريوس

اما اريوس ، فاذ كان متحفزاً وعلم بهذا القرار ، خشى ان يكمل رئيس الاساقفه شهادته ، ويظل هو محروماً . فركض ضمن جمع الكهنة والشمامسة واناس آخرين ، واقنع بعضهم ان يذهبوا الى السجن ، ويرتموا عند قدمى البطريرك ويرجونه ان يرحمه ويرفع عنه الحرم . وقد ظنوا ان اريوس إنما يفعل ذلك من تقوى ؛ فذهبوا الى السجن لكى يتشفعوا من اجله لدى رئيس

الاساقفه . فلما مثلوا فى حضرة البطريرك الطوباوى ، قبلوا يديه ؛ وبعد الصلاة سجدوا ووجوههم الى الارض وتوسلوا اليه قائلين: « نرجوك تعطف علينا ، اقبل توسلاتنا واستجب للطلب الذى نطلبه من سدتكم الابويه » .

وبعد ان دعاهم للقيام قال لهم البطريرك وماذا تلتمسون ؟ فردوا قائلين : « ان الله ربنا ، القادر على كل شىء ، يدعوك لكرامته ومجد الاعتراف به ، لكى تشترك فى آلام المسيح ، ولكى تجاهد من اجل الحق حتى الموت ، لانك مستحق اكليل الشهـــادة .

يا ابانا الطوباوى : لقد أراد الله ان تحضر فى نفس اللحظة التى انت ذاهب فيها الى الرب الذى تحبه ، لكى تطلب من قداستك ان ترفع الحرم عن اريوس » .

فصاح رئيس الاساقفة : أتتضرعون الى لخصوص اريوس ؟ ثم مد ذراعه وقال : « ليكن اريوس محروماً فى هذا الدهر وفى الدهر الآتى ، من مجد ابن الله الحى يسوع المسيح ربنا » .

١٤ــ التوديع

ولدى سماعهم كلمات رئيس الاساقفة الطوباوى ، تملكهم الخوف ، ولم يجرؤ أحد ان يرد بشىء ، لانهم كانوا يخشونه .

فلما رآهم حزانى وجلين ، أخـــذ الشيخين اشيلاس والكسندروس الكاهن ، الأول عن يمينه والثانى عن يساره ، وتنحى بهما جانباً وقال لهما .

حقاً إذا اعطانى الله الصالح القوة ، سوف اكمل سعيى بالاستشهاد ، انى اعرف ذلك وسوف تخلفنى يا اشيلاس على عرش رئاسة الاساقفة ، ويخلفك اخونا الكسندروس ، هذا ما أعلن لى .

لا تظنوا انى رجل بلا احشاء وبلا رحمة نحو القريب ؛ لانى انا ايضاً ، رجل خاطىء ولكن اريوس يضمر خبثاً خفياً لم احرمه من نفسى ، لان فى هذه الليلة ، بعد ان اكملت الصلاة كالمعتاد ، وكنت واقفاً فى الصلاة فى هذا الركن ، رايت شاباً

يدخل ، وكان وجهه منيراً كالشمس ، يرتدي تونية من الكتان مزقة الى اثنين من عند الاكتاف ووسط الصدر الى الساقين ، ويداه ممسكان بأطراف ثوبه . فلما رأيته على هذه الحالة ، حزنت . فلما فتح فمي ، صرخت بصوت عال وقلت له : يارب من الذي مزق تونيتك ؟

قال : ان اريوس الذي مزقها ، احترس من ان تقبله في شركتك ، هاهم يأتون ليشفعوا من اجله لديك . اسهر حتى لا توافق ، وبر اشيلاس والكسندروس الكاهنين الذين سيخلفانك في حكم الكنيسة ، الا يقبلاه ، لانك سوف تكمل سعيك بالشهادة المقدسة

وهنا ينتهي الحديث عن الرؤيا

قال : واني اطمئنكم اذ عرفتكم بالاوامر التي اوصيت بها وانتم تعرفون يا اخوتي ، كيف كنت طوال هذا الوقت اسلك معكم ، وسط التجارب التي حلت بي بسبب مؤامرات اصحاب

البدع خدام الاصنام الانجاس . فكنت اهرب من بلد إلى بلد ، في بلاد العجم وفي سوريا وفينيقية وفلسطين والجزر . لم أكف عن الكتابة خفية لتثبيت الشعب في قوة المسيح ، ليلا ونهاراً ، لم أنبذ الاهتمام بالرعية التي أؤتمنت عليها . وبينما كان قلبي مفعماً بالحزن ، لم اتخل عن التماس الكنيسة من الله القادر على كل شيء . وفيما يختص باخوتنا الطوباويين فيلياس وهيزيكيوس وباخوم وتيودور ، الذين القوا في السجن من أجل نفس هذا الايمان بالمسيح المحسن الينا ، الذين بنعمة ربنا يسوع المسيح استحقوا ان يكونوا مدعوين ، فقد كتبت لهم خطابات كثيرة من بلاد العجم . لم اكن عديم المبالاة بل تألمت كثيراً في جهادي من أجلهم ، خشية ان يكون قد ألم بهم أمر آخر ، لانهم كانوا رؤساء ، وقد يعثر الشعب بسببهم .

وجمعت من اجل اكثر من ستمائة وستين آخرين كانوا في السجن واستشهدوا هنا منذ زمن قليل كما تعلمون . وان حزني لا ينقطع . ولما ايقنت انهم اكملوا الشهادة ، وقفت وعبدت وشكرت ذلك الذي منحهم ان يكملوا حسناً .

تعرفون كم من الحزن سبب لى ميلتس الاسيوطى ، اذ قسم الكنيسة التى اشتراها الرب بدمه الكريم ، وسلم حياته لأجلها لكى ينتديها ، واما ميلتس فرقها . كان الاساقفة القديسون فى السجن ، ولم يتوقف عن ان يحزنهم ويعذبهم بالتآمر ضدهم ، فاحذروا منه .

ترون أنى ارتبطت فى وجاق بالمسيح إلهى ، خاضعاً لأرادته المقدسة ، وانهم يتشاورون بخصوص قتلى ، كما اعلنى الولاة ، وانهم يتدبرون امر تنفيذ المطلوب منهم . لانهم كتبوا لهم بخصوصى ، يهددونى بالموت ، ولكنى لا اتعذب من شىء ولا احسب حياتى ثمينة عندى . ولسوف اكمل العمل الذى دعانى اليه ربى والهى يسوع المسيح ، سوف اجيب بالنعمة التى اعطانى اياها . اعرف انكم منذ الآن لا ترون وجهى فى الجسد . لذلك اشهد لكم فى هذا اليوم ، ان دمى خالصة من جهتكم جميعاً ، لانى لم اخف شيئا عنكم مما قد يكون نافعاً لنفوسكم . اسهروا على انفسكم وعلى الرعية التى اقامكم الروح القدس اساقفة عليها . احكموا بالحكمة كنيسة الله التى من اجلها بذل دمه الزكى .

واننى اعلم ان بعد انحلالى سوف يقدم بعض اعضاء الاكليروس ضد الكنيسة ، ويتكلمون ويضلون ويقسمون الكنيسة ، كما فعل ميلتس الذى اضل اقواماً معه . اسهروا اذاً لأنكم سوف تمرون بهذه الصعاب .

تعلمون اى خطر وضع فيه الملحدون الماضون مثلى القديس تيوناس البطريرك . لقد خلفته على العرش ، فافترض السماء ان اكون قد خلفته ايضاً فى النعمة . كذلك ايضاً اضطر دنيس الكبير الى الهرب من مدينة الى مدينة حتى يختبىء لان سابليوس كان يضطهده .

وماذا أقول عن الاساقفة الطوباويين . كم من العذابات احتملوها . وكم من انقسامات ما زالت حتى هذا اليوم تسبب اضطرابات فنألم من جرائها : ومن جهة اخرى كم من الاتعاب تحملها اباؤنا الذين سبقونا فى اهتمامهم بالكنيسة : ولكن نعمة الله كانت تحفظهم . فلينبتنا المسيح الهنا ، وليعدكم وليعطكم القوة ، وليحفظكم بنعمته . والآن اتركمكم فى كلمة النعمة التى

لذلك الذى يستطيع ان يخلصكم انتم والرعيـــة » .

وبعد ان قال البطريرك الطوباوى بطرس هذه الكلمات ، ركع على ركبتيه وصلى . وبعد الصلاة قبلوا يديه وبكوا بالاخص بسبب الكلمة التى كان قد قالها لهم : « لن تروا وجهى فى الجسد بعد » . ثم بعد ان وجه اليهم بعض كلمات التعزية الاخيرى باركهم كما بارك اشيلاس والكسندروس وصرفهما بسلام . فرويا فى الخفاء للآخرين ما قاله لهما رئيس الاساقفة الطوباوى . فلما علموا تعجبوا وايقنوا انه لم يحرم اريوس بدون تأكيد إلهى .

ولما علم اريوس بذلك ، تراجع واخفى خبثه . ومن جهة أخرى كان يأمل فى اشيلاس والكسندروس .

ولما علم الطوباوى بطرس باتجـــاهات الولاة المعادية ، وبالخطر الذى يهدد الشعب ، وكان يريد ان يسلم نفسه ويحفظ الشعب سالماً صحيحاً ، اختار من بين الشيوخ مساعديه ، احد المؤمنين وكان يثق فيه ، وارسله الى مقر الولاة بهذه الكلمات : « تعالوا هذه الليلة جنوب السجن عند اسفل الحائط . وسوف

اقرع من الداخل ، فتجعلون فتحة فى الحائط ، وسأخرج اليكم فتنفذون الامر الذى ارسله الملك » .

فسمع اليه الولاة وقبلوا رأيه . وقاموا اثناء الليل وحدهم ، دون ضجيج الحاشية ، ولم يأخذوا معهم سوى العمال لينقبوا الحائط . ولما وصلوا الى المكان المتفق عليه ، عرف الطوباوى رئيس اساقفة المسيح ذلك ، فذهب سراً الى طرف السجن فى مكان عرف انه منعزل تماماً ، حتى لا يعرف الذين كانوا فى السجن ما يحدث له ، وقرع من الداخل ، فعرف الذين كانوا خارجاً علامة الطوباوى ، فحفروا عند المكان الذى جاء منه صوت الضرب ، وصنعوا ثغراً . فرسم القديس علامة الصليب وخرج اليهم قائلا : « الأفضل ان اسلم نفسى وحدى ، من ان اجعل كل الشعب يهلكون » ، صانعاً ايضـــاً فى ذلك مثل ربنا يسوع المسيح ، كما هو مكتوب عنه فى انجيل يوحنا البشير . وما أعجب ما حدث فى ذلك الوقت ! فانه فى الحال قامت ريح عاتية وزوبعة ، فلم يعلم احد انهم كانوا يفتحون الحائط ، ولم

يسمع أحد صوت المعول . فسلم الراعي الروحاني نفسه لكي ينجي رعيته ، مقتديا هكذا بالراعي الحقيقي ، المسيح الذي بذل حياته من اجل خرافه .

١٥ — صلاة القديس قبل استشهاده

في هذا الجـــزء من الكتاب نأتي بما ابدع فيه القديس الكسندروس البطريرك التاسع عشر صاحب المقال من سرد ما حدث في لحظات استشهاد القديس بطرس وبعدها ، وحالته النفسية ، والقوة الدافقة التي آتته والشجاعة المنقطعة النظير التي جعلت الاعداء قبل الابناء مبهورين . وان نعجب فلا نعجب لشيء اكثر من تألق وجهه وارهاف حسه واتزان كلماته وحسن مناجاته ، نفعنا الله بجزيل بركته امين .

كان الشعب جالساً عند ابواب السجن ، بينما كان رئيس الاساقفة يتعجل الولاة ان يصنعوا ما امروا به ، حتى لا يعلم احد . فاخذه هؤلاء الى المكان المسمى تبوكولو Taboucolou ،

(دار البقر) حيث كان القديس مرقس قد اكمل سعيه(١) . واعتراهم خوف ورعدة عند نظرهم هدوء القديس المتألق ، والنعمة الالهية التي كانت تضيء وجهه ؛ وجزعوا جزعاً شديداً. فسألهم القديس بطرس قائلا : « أتسمحون بأن اتحـــدث مع القديس مرقس الهشير ؟ » ، فقال الولاة خجلين ومطرقين نظرهم الى الارض عند نظر القديس اليهم : « افعل ما تريد يا ابانا ؛ ولكن اسرع » .

حينئذ دخل الطوباوي في مقصورة القديس مرقس وصاح كما لو كان جالساً يتحدث معه ، قائلا(٢) .

---

١) عند الكاندرائية المرقسية الحالية .

٢) تعليق : فيما عدا ما ورد ذكره في الأسفار المقدسة لم يحفظ لنا التاريخ الا القليل من أمثال هذه الصلوات الايمانية العديقة المتينة الصلات ، يستعمل فيها القديس اساليب رائعة من عصارة ذهنه النقي في المناجاة . ولم يرد لنا النص محفوظاً عبر هذه القرون فحسب ، بل وصلتنا أيضا طريقة هذا القديس =

= العظيم الفريد فى اداء هذه الصلاة ، ودالته والقربى الظاهرة فيها الى السيد واهب الحياة وملك الدهور .

فهنا نأتى الى أروع حديث واقوى مناجاة من قديس لأبيه مرقس البشير ، فى كل كلمة منها قوة دافقة ونبضة حية محركة . انها ذكرى بارعة فرعها ثابت واصلها فى السماء . فهو يتعاون ويستعين بأبيه القديس فى ارسال المجد فى الاعالى .

ما قرأها متألم أو متضايق الا وهبت فى جسمه كهرباء حين مستها قبسة ايمان ورجاء وحنين واشتياق عجيب ، وصلاته رائحة طيبه الى عرش الابن الوحيد مخلص العالم الذى بيده نسمة كل حى ، كما تبين بجلاء مقدار ما كان عليه الأب شهيد المسيح القديس صاحب السيرة النفيسة ، من شامخ الايمان وقوة الروح وحلاوة اللسان حتى يبدو كأنه شاهد عيان لآلام المسيح ومجد الشهداء فى خدمتهم وشهادتهم .

« يا ابى ، بشير الكلمة ابن الله الوحيد ، شاهد هذه الآلام الخلاصية ، انت كنت اول شهيد ، وأول اسقف ، تمجد ثابت لهذا العرش الذى اختارك له مخلص جميعنا المسيح الاله الحقيقى . انت الذى نشرت الانجيل فى كل أرض مصر وبالأخص فى الأرجاء التى حول هذه المدينة .

كنت ساهراً فى الخدمة التى نلتها ، ونلت اكليل الشهادة . لذلك استحققت يا ابى البشير الاسقف والشهيد ، ان يظهر لك الاله العظيم مخلصنا يسوع المسيح .

اخترت انيانوس الطوباوى ليخلفك ، لانه كان مستحقاً . ثم جاء بعده ميليوس وخلفاؤه ، ثم ابى تيوناس . وبعد ابى تيوناس صارت الى خدمة العرش ، انا الخاطىء غير المستحق هذه الكرامة ، ولكن المسيح فى كثرة رحمته ، عمل فى لكى اصير شهيداً لاسمه القدوس المبارك : فاذا كنت مستحقاً لصليبه وقيامته ، اذا كنت مستحقاً ان يضع فى رائحة آلامه الخلاصية ، حتى أصير أنا

أيضاً رائحة له ، بسفك دمي ، فقد حان الوقت . صـــل إذا لأجل الذي انت عنده ، المسيح ، لكي يعطيني القـــوة لاجتياز هذه المرحلة .

ها أننا أسلمك القطيع الذي كنت قد أؤتمنت عليه بالخلافة ، الذي كنت قد اعطيته لاسلافي والذي كنت انت ذاتك تسلمته من يد الله مخلصنا ، لأنك معلمنا ، انا وزملائي ، واننا طبقاً لتعليماتك المقدسة قد علمنا الايمان الأرثوذكسي . انه فرح عظيم لنا ان الاساقفة الذين يجلسون على هذا الكرسي لهم من يدافع عنهم بمقدرة عظيمة لدى ربنا يسوع المسيح » .

ثم قام القديس بطرس من عند قبر الطوباوي مرقس البشير ، ورفع ذراعيه نحو السماء وصرخ قائلا .

« يا ابن الله الحي ، كلمة الله ، الكائن قبل كل الدهور ، يسوع المسيح ، ربنا ، اسمع صلاتي . فالتهدأ الزوبعة التي تقاوم الكنيسة . ليجعل سفك دمي ، انا الخادم الغير نافع ، الاضطهاد ضد قطيعك يتوقف ، لان كل شيء مستطاع لديك ، ويليق بك

المجد مع ابيك الصالح والروح القدس الى دهر الداهرين آمين » .

وكانت هناك عذراء طاهرة عند مدخل مقصورة القديس مرقس . فبعد ان انتهت من صلاتها في خوف الله ، واذ كانت ساهرة سمعت صوتاً من السماء يقول : « بطرس سوف يكون آخر شهداء هذا الاضطهاد » .

فلما انتهى القديس بطرس من الصلاة ، قبل قبر القديس مرقس البشير ، والاساقفة الذين هناك ايضاً . وصعد نحـــو الولاة . فلما رأوا وجهه مثل وجه ملاك من ملائكة الله ، اعتراهم خوف ولم يجرؤوا ان يكلموه .

ولكي نعرف ان الرب لا يترك الذين يتكلون عليه ، وان ما كان يحدث للقديس بطرس انما كان بارادة الله ، اسمعوا هذا بعجرة الله حضر من ناحية القلعة رجل وعذراء طاعنان في السن كانا يصعدان الى المدينة ، كان الرجل ذاهب ليبيع جلداً والمرأة لتبيع كفناً . فلاحظهما القديس بطرس وفهم انهما

قد أرسلتهما العناية الالهية . فرسم علامة الصليب وناداهما وقال لهما : « هل انتما مسيحيان ؟ » فردا : « نعم بمشيئة الله » . فقال لهما : « اين تذهبان ؟ » قالا : « الى المدينة لنبيع هذه الاشياء » . قال : « ان الله الصالح قد ارسلكما الى يا ابنائي المخلصين » . فعرفا انه رئيس الاساقفة ، لانه كان قد اصبح الصباح . فقال لهما البطريرك شهيد المسيح : « توقفا وابقيا معي » . فقالا : « سمعاً وطاعة يا ابانا القديس » . ثم قال للولاة : « تعالوا نفذوا امر الملك ، لان الصباح قد بدأ » .

فقتادوه جنوب قبر البشير ، في المكان الممتد نحو المدافن . فقال شهيد المسيح الشجاع للمجوزين ، وكانا يقفان بجانبه : « افرشا على الارض الجلد والكفن » . فلما فرشاهما ، صعد عليهما رئيس الاساقفة الطوباوي ثم نظر نحو الشرق ، وسجد ثلاث مرات ، ورفع ذراعيه نحو السماء وشكر الرب ، ورشم علامة الصليب وقال امين . حينئذ خلع بلينه وكشف عنقه واحنى كتفيه امام الرب وقال للولاة بوجه هادىء باش : « افعلوا ما امرتم به » .

لكنهم بقوا مرتعبين امام هدوء القديس . ونظروا بعضهم الى بعض ، وكانوا يحسون بعضهم بعضاً ، ولكن لم يجرؤ أحد منهم أن يهم بقطع رأسه ، لان الرعدة كانت قد تملكتهم . فاتفقوا ان يضع كل منهم خمس قطع نقود ؛ ومن يقطع رأسه يأخذها . وكانوا خمسة ولاة ؛ واذ كان احدهم ذا مال ، اقرض زملاءه ووضع الخمس وعشرين قطعة . واختار واحد منهم نصيب وميراث يهوذا ؛ وتجاسر وقطع رأس رئيس الاساقفة ، شهيد المسيح ، بطرس ، في اليوم التاسع والعشرين من شهر هاتور . فاخذ المال وهرب مع زملائه خوفاً من الشعب .

١٦ — تكريم الشهيد

وحدثت معجزة عظيمة في جسد القديس ، فقد بقي قائماً ، كما قال لنا آباؤنا الذين رأوه ، الى ان اعلموا شعب المؤمنين الذين كانوا يحرسونه عند مدخل السجن كما قلنا . فلما سمع هؤلاء ورأوا الفتحة في الحائط ، ركضوا ووجدوا الشيخ

والعذراء اللذين بقيا ليحرسا جسد البتول شهيد المسيح . والذين وصلوا اولا اضجعوا جسد القديس والصقوا به رأسه اكراماً للمسيح رأس الكنيسة . وغطوه بالكفن وجمعوا دمه ووقفوا يبكون .

وركضت كل المدينة ليروا شهيد المسيح الطوباوى . كانوا يتقابلون صارخين وهم يتوجهون قائلين : « ماذا حدث ؟ » ، وكان كل الشعب يبكى ويئن . وذهب اعيان المدينة ليلقوا جسد القديس فى الجلد الذى كان تحته ، وكانوا يحرسونه بسبب الشعب الذى كان يأخذ ثيابه بركة . وكان القديس عند موته يرتدى ملابس رتبته الكهوتية . انتزعها الشعب . . . ، وبالجهد استطاعوا ان يضعوه فى الجلد فى امان ، وظلوا واقفين بجانبه ليبعدوا جماهير الشعب .

وكان اضطراب عظيم فى الشعب ، فان اهل حى الدروموس Dromos كان يريد ان يحملوه الى كنيسة تيوناس حيث تربى ، اما اهل الجزء الآخر من المدينة فكان يطلب ان يضعوه فى

موضع القديس مرقس حيث اكمل شهادته . وكان الموقف صعباً ، وكان الناس يشتبكون ، وجرى الاهيان عند هيـــاج الشعب والتحموا فى معركة جدية ؛ فأحضروا مركباً كانوا قد اعدوها وانوا بها بالقرب من المكان حيث كان جسد البطريرك مرجى . وكان الشعب يتشاورون منذ وقت طويل . فأخذوا جسد القديس شهيد المسيح ، ووضعوه فى المركب ، وابحروا به . ولما تجاوزوا الفنار عند الغروب وصلوا الى مكان يدعى لوكاتس Leucates ، فحملوا الجسد الى المقبرة التى كان قد بناها هو نفسه .

وبكاء الشعب كثيراً ، وبحثوا عن مثوى راعيهم وهرعوا الى المقبرة . وهناك اجتمع كل الشعب ولم يسمحوا بدفن جسده قبل ان يجلسوه على عرشه ؛ وتبين القصة التالية السبب الذى جعلهم يجلسونه :

معاينة القديس السيد جالساً :

منذ زمن طويل لم يمكن القديس بطرس رئيس الاساقفة

يجلس على عرش الكنيسة . ولكنه اعتاد حينما كان يصعد الى العرش لكي يعطي السلام للشعب ، ان يجلس على سلم العرش . ومرات عديدة كان الشعب يتذمر بسبب ذلك . وفي يوم عيد ، بينما كان يصعد فيجلس ايضاً على السلم ، ضاق الشعب وصاحوا قائلين : « اجلس على العرش يا رئيس الاساقفة ، في المكان الذي رسمت فيه » . كان الشعب يصيحون بينما ظل رئيس الاساقفة صامتاً ، يخفض بصره ، وانضم الاكليروس في رجائهم الى الشعب . حينئذ اشار الى الاكليروس ان يهيبوا بالشعب ان يصمتوا ، وبعد ان رشم علامة الصليب على نفسه وعلى الشعب ، جلس ايضاً على السلم . وسكت الشعب ولم يعترض على ذلك ، وتركه يصنع ما يريد .

وبعد الصلاة دخل المقصورة وأمر الا يسمحوا لأحد من من العلمانيين بالدخول مع الاكليروس فينفرد بهم . وقال لهم : « لماذا تحزنوني انتم ايضاً مع الشعب ؟ أتجهلون مخافة الله والرعدة التي في قلبي ؟ أتجهلون مقدار ألمي ؟ حينما اصعد الى

العرش واقف هناك بعد الصلاة ، اني أرى قوة شبيهة بالنور جالسة على العرش . وبالرغم من ان هذه القوة تقويني وتفرحني ، فان عظامي تضطرب جداً ، ولا استطيع ان اقول شيئاً بسبب الشعب . لذلك ولكي لا اكون سبباً في عثرته ، اعتدت ان اجلس على السلم ، كما رأيتموني افعل ذلك مرات عديدة . وحتى افعل ذلك يلزم ان اقدم واقع ذاتي ، في ضيق الشعب . ولكن حينما يكون المكان خالياً ، اجلس على العرش ، حسب المتبع . واني قد طمأنت محبتكم على سر قلبي ؛ فاذا كان الشعب يعنفني الآن ، فاطلبوا منه انتم ان يكف عن ذلك فانكم تعرفون فكري الداخلي . . .

بعد ان انكشف السبب الحق الذي من أجله طلب الشعب ان يجلس رئيس الأساقفة ، شهيد المسيح ، على عرشه ، نفذ ما كان قد طلبه الشعب ، واجتمع الاكليروس واجلسوه على عرشه ، وارتاح الشعب لرؤيته جالساً عليه .

بعد ذلك احضروا اكفانا مختارة ، وثيابا من الحرير النقي ، واطيابا ، ووضعوا جسده المقدس في ذلك المدفن ، حيث تمت عجائب عظيمة بواسطته .

والآن يا أولادي الاحباء : فلننظر اكرامنا نحوه ، لكي يتشفع فينا لدى المسيح الذي يسكن في ديارة . وانه حينما كان معنا بالجسد ، كان له ان يصلي من اجلنا ، فكم بالحري يكون لنا شفيعا حيث يوجد الآن مع المسيح إلهنا .

فهرست

صفحة

مقدمة ٤

١ — مناجاة رئيس الاساقفة صاحب المقال لروح البطريرك القديس بطرس الأول . . . ٨

٢ — ميلاد القديس بطرس خاتم الشهداء . . . ١٠

٣ — حياته الاولى ورسامته قارئاً . . . ١٣

٤ — اخراجه الارواح الشريرة ١٤

٥ — الحام اصحاب بدعة سابليوس . . . ١٦

٦ — تدرجه الى الرئاسة ١٧

٧ — ارتقاء القديس بطرس العرش الرسولي . . ٢٢

٨ — من معجزات البطريرك القديس . . . ٢٢

٩ — اضطهاد دقلديانوس وموقفه منه . . . ٢٣

١٠ — بدعة ميلتس ٢٥

١١ — بدعة اريوس ٢٦

١٢ — شهادة القديس بطرس ٢٩

١٣ — حرم اريوس ٣١

١٤ — التوديع ٣٣

١٥ — صلاة القديس قبل استشهاده . . . ٤٠

١٦ — تكريم الشهيد ٤٧